الباب الثالث

التربية والتعليم

أشرنا من قبل إلى أن التربية بمعناها العام تشمل كل أنواع النشاط التى تؤثر فى قوى الفرد واستعداده وتنميها . وهذه الأنواع من النشاط مصدرها عوامل مختلفة . فلا تشمل التربية ما نقوم به من إعداد لأنفسنا وما يقوم به غيرنا لتنمية قوانا حتى تصل إلى أقصى ما يمكن من كمال فحسب ، بل إنها تشمل أكثر من هذا ، كل تغيير فى غرائزنا وميولنا الفطرية وأخلاقنا — يحدث بطريق غير مباشر من عوامل أخرى لها أهداف غير التربية ؛ كالقوانين الشرعية أو المدنية ، ونظام الحكم ، والفنون الصناعية . وأساليب المعيشة والتقاليد الاجتماعية[1] .

نعم هذه كلها تؤثر فى التربية بل يؤثر فيها غيرها أيضاً كالبيئة المادية والطبيعية التى لا تخضع لسيطرة الفرد ؛ مثل الجو والتربة والموقع الجغرافى . فكل ما يساعد على تشكيل الكائن البشرى وجعله فى الحالة التى هو عليها ، إنما هو جزء مؤثر فى تربيته .

فهذا المعنى للتربية يشمل كل تنمية منصبة على قوى الفرد واستعداده ، وتوجيهها ، أما التعليم فيقصد به نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم ، المعلم الإيجابى إلى المتعلم المتلقى ، الذى ليس له إلا أن يتقبل ما يلقيه المعلم ، فالتربية إذاً ذات معنى واسع شامل لكل نهوض وترقية إيجابية تقوم بقوى الفرد ، بينما التعليم ذو معنى محدود يتضمن نقل المعرفة . والتربية بالمعنى العام تقع على جميع نواحى الإنسان : الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية ، والتعليم يقصد به أولا وبالذات نقل المعرفة إلى الفرد كوسيلة للتربية فهو بهذا المعنى محدود جداً بالنسبة للتربية وعامل جزئى ، وليس فيه من إيجابية الفرد إلا بقدر ما يتلقى به المعرفة .

---

(١) من حديث افتتاحى ألقاه جون ستيوارت فى كلية سنت اندرو . نقلا عن ص ٢ من Teaching, its Nature & Varieties by B. Dumville.

وواضح أن كلمة التعليم مأخوذة من العلم . فهى إذن مقصورة على العلم الثقافى الذهنى الأكاديمى ويرجع تحديد معنى التربية هكذا فى دائرة التعليم الضيقة إلى أن العناية بالعلم قد زادت فى القرون الوسطى حتى صار ينظر إليه كوسيلة لتكميل الفرد الخلقى والعقلى . وبهذا المعنى كانت المدارس تؤدى وظائفها . ومازالت فكرة الرجل العادى عن التربية محدودة بالتعليم الأكاديمى[١] . والسبب فى هذه الفكرة أن أى عمل — لكى يتم إنتاجه وفقاً للقواعد والأصول الصحيحة — يجب أن يكون لدى صاحبه معرفة بهذه القواعد وبالصورة التى سيصبح عليها العمل بعد تمام إنشائه ، فكأن المعرفة قصد بها استخدامها عند التطبيق استخداماً صحيحاً . فهى إذن جزء ضرورى لنشاط الفرد العملى . وهى وسيلة لتحقيق الإنتاج العملى . وهذا هو المعنى الذى قصده سقراط بالمعرفة — أى — المعرفة ذات الأثر فى عمل صاحبها . ولا يزال هذا المعنى قائماً[٢] .

ولا يكون للمعرفة أثرها فى حياة الفرد إلا إذا كانت حية يستفيد منها فى سلوكه . وليس الأمر كذلك فى المعرفة التى يحصلها تلاميذنا فى المدارس الآن ، إذ أن همّ المدرس هو إتمام المقررات بأى صورة ، وهمّ التلاميذ حفظ هذه المقررات بفهمها طبعاً ، وقد يكون بغير فهم ، ثم النجاح فى الامتحان ، ولكن التجارب وتتبع حياة التلميذ بعد خروجه من المدرسة أثبتت أن التفوق فى الامتحان ليس ضماناً كافياً للنجاح فى الحياة العملية ؛ لأن مجرد المعرفة لا تكفى ، وكثير من البارزين فى المدارس التقليدية يفشلون فى ميدان العمل لنقص فى تربيتهم . والتربية الحديثة تقلل من شأن المعرفة الميتة ، التى تتأتى عن طريق التعليم ، المعرفة التى تتخذ وسيلة حتى فى تكوين الخلق كما هى الحال فى دروس الأخلاق والدين والتربية الوطنية .

ويعتبر « جان جاك روسو » زعيم التربية الحديثة بجعله الطفل وقواه ونشاطه مركز العناية ، وتركه يعمل ويتعلم ويختبر عن طريق محاولاته هو ، وممارسته هو ، لا أن يقدم له العلم مهيئاً جاهزاً . فالتربية إذاً منصبة على قوى الطفل بتدريبها

---

(١) ص ٥ من كتاب A Living Philosophy of Education, by Washburne.

(٢) ص ١٧ ، ١٨ من كتاب Principles & Methods of Teaching, by Welton.

وتوجيهها الوجهة الصالحة ، حتى يكتسب عادات عقلية وجسمية نافعة له ، كعضو فى المجتمع ، وحتى يكتسب مهارة يتمكن من تكيف سلوكه بحسب الظروف المختلفة ، وهى منصبة على غرائزه وميوله ، فتعليها وتبنى سلوكاً مكتسباً يتفق مع نظام المجتمع ، وهى منصبة على وجداناته وذوقه ، فتكون منها عواطف تلتف حول الحق والعدم والجمال ، والتربية كما يقول وليم جيمس هى تنظيم القوى البشرية التى عند الفرد تنظيماً يضمن له حسن التصرف والتكييف ، فى عالمه الاجتماعى والمادى[٣].

أما التعليم فمحدود بالمعرفة التى يقدمها المدرس[٢] فيحصلها التلميذ ، وليست المعرفة دائماً قوة ، وإنما هى قوة إذا استخدمت فعلا واستفاد منها الفرد فى حياته وسلوكه . ونحن لا ننكر أن التعليم قد أخذ فى السنوات الأخيرة يعنى بعقلية الطفل وميوله ونشاطه وشوقه . ويستفيد منها جميعاً فى جعله إيجابياً فعالا متعلماً لا مستقبلا فقط .

وهذا الاتجاه فى التعليم يقربه من التربية ، فما ينتج عن التعليم من أثر فى إنماء القوى والمواهب وتهذيب الوجدان ، وتكوين العادات الصالحة والعواطف الطيبة يعتبر تربية .

مميزات التربية الحديثة

كان هدف المدرسة التقليدية القيام بإعداد المنهج الدراسى ، أو اختياره وإعداد مواده ، والقيام بتدريسها للتلاميذ ، بأصلح طرق ممكنة ليفهم التلاميذ ويحصلوا ، ويتمكنوا من النجاح فى الامتحان ، فالمدرسة إذن هى المسئولة عن معظم الأعمال فى التعليم إن لم تكن جميعها .

أما المدرسة التقدمية "Progressive School" التى تقوم بالتربية الحديثة فتتولى تهيئة البيئة المناسبة ، والوسط الصالح ، وتعتمد على نشاط التلميذ وإثارة المشكلات أمامه لحلها ، وتحديد الأهداف ، وتشجعه وتقوده فى محاولاته اللازمة لتحقيق هذه الأهداف التى أمامه . فهى تقف من التلميذ موقف

---

(١) ص٢٩ من كتاب : Talks to Teachers

(٢) ص ١١ من كتاب : Nation's Schools by Bombas Smith.

المرشد والمهذب والموجه ، وتسعفه عند الحاجة . والمدرسة الحديثة ترمى إلى أن تكون صورة من المجتمع الذى يعيش فيه الطفل ، فتتيح له كل الفرص ليعمل ويتعلم بنفسه ، وبالتجارب ، كما لو كان خارج المدرسة :

ويمكن تلخيص مميزات التربية الحديثة فيما يأتى :

١ — الاهتمام بالطفل ونموه الجسمى والعقلى والوجدانى والاجتماعى : وكان هذا الاهتمام نتيجة لتقدم علم النفس وتجاربه ، وتقدم التربية التجريبية ، فتجارب علم النفس ونتائجها أخذت تطبق فى حجرة الدراسة ، وتتخذ أساساً لتجارب أخرى تربوية ؛ كقياس مواهب الأطفال وذكائهم ونموهم . وبذلك أخذت التربية تقترب من العلوم التجريبية ، ويزاولها المربون وفقاً لأسس ضابطة كلها مستمدة من الطفل الذى هو موضوع التربية . وعلى هذا صار إعداد المدرس لا يكتفى فيه بتزويده بالمادة التى يحتاج إليها فى تعلم الطفل ، بل لابد من معرفة (سيكولوجية) الطفل ، حتى يوجه المدرس وظيفته ، وهى التربية ، التوجيه المناسب لهذا الطفل . ولقد خدم علم النفس التربية أكبر خدمة كما عبر عن ذلك الأستاذ « أدمز » بقوله Education has captured Psychology وعلى هذا استفادت التربية الحديثة من علم النفس للطفل فى الوسائل التى تستخدمها لنموه[1] .

٢ — احترام شخصية الطفل : فقد أحاطته التربية الحديثة بالثقة والطمأنينة وأشعرته بشخصيته وفرديته . وذلك بتمكينه من التعبير عما فى نفسه بكل أنواع التعبير كالكلام ، واللعب ، والرقص ، والغناء ، والتمثيل ، والرسم والأشغال . ذلك لأن قوى الطفل إذا لم تحترم من حيث هى قوى وتشجع على التعبير عن وجودها كبتت وضعف نموها . وإذا ما أراد المدرس أن يخضعها لسلطته هو ويطبعها بطابعه الخاص ويكيفها بصورة معينة فى ذهنه . فإنه بهذا يقتلها ولا يبيح لها النمو الطبيعى . والتربية الحديثة تهيئ الفرص والبيئة لإظهار شخصية الطفل فى الملعب والحقل وفناء المدرسة والرحلات والجمعيات المختلفة وحجرة الدراسة ، مع الإشراف والتوجيه المناسبين عند الضرورة . ولا يفهم من هذا أن

---

(١) ص ٤ ، ٥ من كتاب Experimental Education, by Robert Rusk.

حرية الطفل مطلقة . بل عليها كما ذكرت رقابة موجهة .

٣ ــ التعليم عن طريق اللعب والتجربة والممارسة : وقد كانت التربية التقليدية تعتبر اللعب مضيعة للوقت والمجهود وتحول بين الأطفال وبينه ، أما التربية الحديثة فترى أنه ضرورى لنمو الفرد الجسمى والعقلى وأنه ميل طبيعى له غايته التربوية العظيمة . وأن المدرسة الناجحة هى التى تستغل هذا الميل ، وقد تنبه لهذا فرويل ، مؤسس رياض الأطفال ، وبستالوتزى من بعده ، ثم مدام منتسورى . وصارت كل مدارس الأطفال فى أوربا وأمريكا تعترف بهذا المبدأ .

٤ ــ التعليم عن طريق العمل والخبرة الشخصية : ويرجع هذا المبدأ إلى جعل المدرسة صورة من الحياة ، وأن المرء فى الحياة يتعلم بطريق الخبرة الشخصية ، ولذلك غيرت طرق التدريس التقليدية ، وصار التلميذ هو الإيجابى الذى يبحث ويجمع ويكشف المعلومات . وذلك كما فى دروس المشروع وفى طريقة دلتون .

ولا يخفى ما فى هذا المبدأ من تشجيع الاعتماد على النفس ، وتنظيم عملية التفكير ، وتنمية روح التعاون مع الجماعة ، والعناية بأسلوب العمل ، أكثر من تحصيل المعرفة نفسها .

٥ ــ خلق الجو الاجتماعى الصالح لنمو الطفل وتكامل شخصيته : وذلك لأن المدرسة الناهضة جزء من المجتمع كما قلنا ، أو هى مجتمع صغير . فهى إذن تمكن الطفل من أن يعامل زملاءه ورؤساءه بالروح الطيبة التى تخلقها هذه المدرسة ، روح الاحترام والأخذ والإعطاء ومعرفة الحقوق والواجبات وتنفيذ القوانين واللوائح عن رغبة وإصلاح وإخلاص ، وأداء الواجب للواجب عينه . فالتلميذ فى المدرسة الناهضة يصدر فى أعماله وسلوكه عن عقيدة ، والضابط له فى شعوره داخلى لا خارجى وبذلك يصير احترام النظام جزءاً من حياته .

ومن صور هذا الجو الاجتماعى الذى تخلقه المدرسة ، نظام الأسر والجمعيات والأندية والرحلات ، والكشافة ، وفى هذه جميعها يشعر الطفل بعضويته فى مجتمع ، وبأنه شريك فى نجاح هذا المجتمع . وأن عليه أن يقوم بدوره الذى يكلف به ، ويساهم فى وضع القانون واحترامه .

٦ ــ العناية بصحة الجسم والعقل : وذلك بإعداد المدرسة الصالحة لنمو الجسم نمواً طبيعياً وتزويد هذه المدرسة بما يحتاجه هذا النمو من غذاء وتمرينات وعلاج . وكذلك فهم الناحية الوجدانية والنزوعية عند الطفل وتوجيهها توجيهاً صحيحاً يتخلص به من العقد النفسية بقدر ما يمكن ، ودراسة العوامل التى تؤثر فى صحة التلاميذ العقلية .

٧ ــ التقريب بين الأسرة والمدرسة وتعاونهما فى تربية الطفل : وسنعرض لهذا عند التكلم عن كل من الأسرة والمدرسة ، كعامل من عوامل التربية .

مراجع الباب الثانى

1. Teaching, Its Nature & Varieties, by B. Dumville.
2. A Living Philosophy of Education, by Washburne.
3. Principle & Methods of Teaching, by Welton.
4. Nation's Schools, by Bombas Smith.
5. Experimental Education, by Robert Rusk
6. Education, Its Data & First Principles by Percy Nunn.
7. Talkes to Teachers, by William James.

٨ ــ التربية ، مادتها ، ومبادئها الأولية : تأليف سير برسى نن وترجمة صالح عبد العزيز .

obeikandl.com